

{والله محيط بالكافرين}

الكاتب : حمد بن عبد الله الحميدي

تاريخ الإضافة: 29-12-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفعّال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، لا معقب لحكمه، يعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، لا رادَّ لقضائه، يُعطي ويمنع، يخفض ويَرفع، وهو القاهر فوق عباده، وهو على كل شيءٍ قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، أهلك عاداً وثمود فما أبقى، وقوم نوحٍ من قبل إنهم أظلم وأطغى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: (حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد...

فإن مما يشرح الصدور، ويذهب غيظ القلوب، ويشفي الغليل، ما يُحِل الله به على القوم الكافرين من العقوبات والنكبات {وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ}.

وإن ما حلَّ بأمريكا من النكبات والعقوبات المتواليات؛ من ضرب الأبراج، إلى الوقوع في مستنقع أفغانستان والعراق، إلى الأعاصير المدمرات، وغير ذلك من العقوبات، تأتي دائماً بعد غطرسة من الكافر لتكون عبرة وآية، اعتبار يجعلك تفكر في عاقبة كل من ظلم وطغى، كيف يحل عليه بأس الله ونقمته في الدنيا قبل الآخرة، فكم ظلم هؤلاء النصارى عباد الصليب، وقتلوا، وشرّدوا، ودمروا، وقالوا من أشدُّ منا قوّة، كحال عاد وثمود.

فلذا قال هود عليه السلام لعاد: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ}، وغير ذلك من الآيات، فأرسل الله عليهم الريح العظيم، ما تذر من شيءٍ إلا جعلته كالرميم كما قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}.

أين بارجات أمريكا وقوتها؟ أين أسلحتها المدمرة؟! لتمنع تلك الأعاصير! إنها قوة الله، فاعتبروا يا أولي الأبصار! وما هي من الظالمين ببعيد.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته)، قال: ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [متفق عليه].

فهكذا يقصم الله الظالم بالعذاب وينتقم لأولياءه في الدنيا ليشفي صدور المؤمنين، ويذهب غيض قلوبهم، وهذا بما كسبت أيدي الظلمة والجبّارين، وما هي من طواغيت العرب ببعيد، وخاصة طواغيت الجزيرة، نسأل الله أن يعجّل ذلك، فهذه دولة أسيادهم بدأت تتساقط ليذيقهم الله بعض الذي عملوا.

وكذلك يُري الله عباده صنعه في المعاندين للحق، أنه لم تنفعهم عزتهم، ولا منعتهم وقوتهم، ولا حصونهم، فإذا جاء أمر الله فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

أما علمتم أن الذي نزل على أمريكا هو أشدّ مما أنزلت أمريكا عل العراق في خلال سنة وستة أشهر.

إذا جاء أمره لا ترده قوة بشر مهما كانت قوتهم، ولذا قالت أمريكا كمقولة عاد: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، وقد أخبر الله عن قوة قوم عاد كما تقدم، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} فأرسل الله عليهم ريحاً مدمره، كما أرسل الله الأعاصير هذه الأيام الماضية على أمريكا، حيث صب عليهم سوط عذاب، نسأل الله أن يزيدها عليهم.

وكذلك ما فعل الله بثمود وقوم لوط وفرعون وجنوده، وقوم نوح وغيرهم، قال تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم، وأخذهم بالانتقام منهم، فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف، وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن، وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحِجْر قريباً من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنها جيداً، وتمر عليها كثيراً، وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة، وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، {فكلا أخذنا بذنبه}، أي كانت عقوبته بما يناسبه، {فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً}، وهم عاد، وذلك أنهم قالوا: من أشد منا قوة؟ فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد، عاتية شديدة الهبوب جداً، تحمل عليهم حصباء الأرض فتلقيها عليهم، وتقتلعهم من الأرض، فترفع الرجل منهم من الأرض إلى عنان السماء، ثم تنكسه على أم رأسه فتشْدَخُه، فيبقى بدناً بلا رأس، كأنهم أعجاز نخل منقعر، {ومنهم من أخذته الصيحة}، وهم ثمود، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا سواء بسواء، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم، وتهددوا نبي الله صالحاً ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات، {ومنهم من خسفنا به الأرض}، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا، وعصى الرب الأعلى، ومشى في الأرض مرحاً، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره، واختال في مشيته، فخسف الله به وبداره الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة، {ومنهم من أغرقنا}، وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أُغرقوا في صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر، {وما كان الله ليظلمهم}، أي فيما فعل بهم، {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}، أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم) أهـ.

هذا مع حلم الله وصبره عليهم فكم آذوه وشتموه وكذبوه، وهو يعفو ويصفح.

جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أحد أصبر على أذىً يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له نداً، ويجعلون له ولداً، وهو في ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم) [وهذا لفظ مسلم].

وكم شتموه وكذبوه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئاً أحد).

وعن ابن عباس رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً) [رواهما البخاري].

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}، وكذلك محاربتهم له بكفرهم وعنادهم وبطشهم ومعادات أولياءه.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب... الحديث).

هل علمتم ذلك ياطواغيت العرب والعجم، وخاصة طواغيت الجزيرة وجنودهم وأعوانهم؛ أنكم محاربين لله لمحاربتكم أولياءه، فإن أولياء الله تجب موالاتهم وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم، فما وقع لأمريكا من ضرب الأبراج، وقذف الرعب في قلوبهم، وانهيار اقتصادي وسياسي وعسكري، والعقوبات المتوالية عليهم، ليست بِبَعيدة عليكم ولا تغتروا بإمهال الله لكم، فإنه لكم بالمرصاد.

فكم من مظلوم في السجون، وكم من ولي من أولياء الله قتلتموه، وكم من صالح طاردتموه، وكم من طاغوت قربتموه، وكم من شرعٍ عطلتموه، وكم من كافر نصرتموه، وكم من مشرك حميتموه، وهل هناك ناقض للإسلام لم ترتكبوه.

فاعلموا أن الله يتولى نصرة أولياءه، ومحق أعداءه، والله محيط بالكافرين، قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}.

قال ابن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة، أي أهلك جميع دواب الأرض تبعاً لإهلاك بني آدم، ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر، أي لا يعاجلهم بالعقوبة، إذ لو فعل ذلك بهم لما بقي أحد، ولذا قال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}).

وهذه الآية تسلية للمؤمنين عما يحصل للكافرين وأعداء الدين من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها وبعض القوة والغلبة في بعض الأوقات، لكن هذا ليس ثابتاً لهم ولا بقاء له، بل يمتعون به قليلاً، ويعذبون فيه دنيا وأخرى.

وهذا كما قال تعالى: {مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}، وقال: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ}، وغير ذلك من الآيات، وإنَّ أخذ الله لهم ونقمته بهم في الدنيا وهم في حال قوتهم، وكذلك أيضاً في غفلتهم، فلا يعجزه شيء جل وعلا، قال تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا

ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}.

وهذه من آيات الله الباهرات يريها الله عباده في أعدائه لكي لا يأمنوا مكر الله، وأن الكافر مهما أوتي من قوة فهو تحت قبضة الله وسطوته، قال تعالى: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى}.

كل ذلك لكي يرجع الفاجر والظالم إن كان له سمع وعقل وقلب، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، وقال تعالى: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}.

والآيات في ذلك كثيرة جداً، كيف يجعل الله عذابه وبأسه ونقمته بأعدائه في حال سهوهم وغفلتهم، وحال غطرستهم وقوتهم، وكذلك كيف يجعل لأولياءه من النعمة والنصرة والحفظ والتأييد، وهذا في الدنيا وفي الآخرة، {وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها}.

قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ}.

وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي أرانا ولا يزال يرينا في أعدائنا ما يشفي فيه صدورنا، ونسال الله أن يرينا في طواغيت الجزيرة عجائب قدرته، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب بإذن الله عز وجل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نشرة البتار، عدد 20

شعبان/1425 هـ
